الطِّباقُ والجِناسُ وأثرُهُما في كَلامِ الإمامِ عَلِيٍّ (عليه السلام) فِي نَهجِ البَلاغَةِ

م .د. كاظم عَبد فرَيِّح المَولى
جامعة ميسان/كلية التربية/قسمُ اللغةِ العربيةِ

المُقَدمة :

إنَّ التَعاطي مع نصوصِ نَهج البلاغة يَمنح الباحثَ مَزيداً منَ اللحمةِ مَعَه والذَّوبان فيه ، لاسيَّما حينَ يّطلّ عليهِ عِبرَ نافذة بلاغيةٍ بيانية كانت أو بديعية ، وبعد القراءةِ المُتفحِّصةَ والمُتكرِّرة في محاولةِ سَبر أغوارِ هذه السفر الكَبير وجدَ الباحثُ نفسه أمامَ ظاهرةٍ بارزةٍ تَمثَّلت في استدعاءِ فَنَّي الطِّباق والجِناس ، وهُما فَنان ظاهران بارزان مُهَيمنان مُمَثِّلان بذلك ظاهرةً تستحقُ الدرسَ والمُتابَعة والنَّظر إليهما من وجهةِ نَظَرٍ بلاغيةٍ تُسَلِّط الضوءَ عَلى زاويةٍ بديعيَّةٍ خاصَّةٍ ، ولم يَجِد الباحثُ مُنصَرفاً دون الوُلوجِ في رِحابِه .

لقد وردا في كلامِ الإمام (عليه السلام) مُتداخِلَين تارةً ومُتجاوِرَين تارةً أُخرى وفي كلتا الحالتين صَدَرا عَن ارتجاليةٍ باذخَةٍ في عظمتها،وهذا ما الزم الباحثَ ان يضعَ الدراسةَ في مَبحَثَين؛خُصِّصَ الأول لِتَتَبُّع اثرَ تداخل فَنَّي الطباق والجناس، والآخر لِتَتَبُّع ذَينِك الفَنَّين بَعد ان سُبِقا بِمقدِّمَةٍ وتمهيد وأُردِفا بخاتمَةٍ لاهَمِّ النتائج التي استُقرِئَت مِن البحث،مع الإشارةِ إلى أمرين؛ الأوَّل هو أنَّ الباحث أقتصرَ على نماذجَ مُختارَة من كلامِ الإمام(عليه السلام) لانَّ تَتَبُّع النماذجَ كلها يحتاج إلى دراسةٍ مُفَصَّلةٍ قد يصلُ الأمرُ بها إلى رسالةٍ ماجستيرٍ وهذا ما نتركه للباحثين مِمَّن يرغبُ بإخراجِهِ في رسالة مستقلة، والثاني اعتماد كتاب نهج البَلاغة بتحقيق محمد مُحي الدين عَبد الحميد[1] لاعتمادهِ في أغلبِ الدراسات الأكاديمية في حدودِ علمي والله أعلم.

انَّ البحثَ اقتصر على ما وردَ تحتَ عنوان(مِن كلامِ الإمام)(عليه السلام) ، وكان تواجِدُهُ في بابِ الخطب ، إذ عَدَّه المُصَنِّفُ (الشريف الرضي) بمثابة خطب للإمام،بقوله: " ومِن كلامٍ لهُ عليه السلام يَجري مَجرى الخطبة "[2].

ولعلَّ المُسَوِّغ للمُضي في دراسةِ هذَين الفَنَّين في هذا النوع منَ النصوص في نَهجِ البلاغة هو مَعرفة فاعليةِ الطِّباق والجِناس وبيانِ ما لهما من اثرٍ في توجيه المَعاني وبِناء الألفاظَ واشتراكهُما في التَّوظيف الدَلالي في كلامِ الإمامِ (عليه السلام) واثر ذلك كُلِّه في المُتَلقي، ومنَ اللهِ الفَلاح.

مدخل .

الطباقُ والجناسُ فنَّان بارزان مِن فنون عِلمِ البَديع واختصَّ كلٌ منهما بطرفٍ من أطرافه ، فالطِّباق عُدَّ الفن الثالث من فنون البَديع وأجناسه عند(ابن المعتز)في بديعه[1] ،وظلَّ مَلمَحا بارزا مُتَميِّزا على الرَّغم من كثرةِ فنون البَديع مِن جهة وتَداخله معَ علمِ البَيان في كثيرٍ من مُؤلفات النقاد والبلاغين مِن جهةٍ أخرى[2]، وكذلك(الجناس)

---

[1] ينظر: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، مصر،(د.ت).

[2] المصدر السبق،ج١/٨٤.

[1] أحصى ابنُ البديع فنونَ البديع وجعلها ثمانيةَ عشر فنا مُحسِّنا ، وجعلها ابنُ أبي الإصبع(مائة واثنين وعشرين) مُحسنا في كتابه (التَّحبير). ينظر: ينظر: البديع، طبعة كراتشكوفسكي ، لندن ، ٩٣٥ . ينظر: تحرير التحبير في صناعةِ الشعرِ والنثرِ، تحقيق د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ .

[2] ادخلَ ابنُ المعتز بعض الصورَ البيانيةِ من استعارةٍ،وكنايَةٍ في دائرةِ البديع ،وادخلَ (ابنُ أبي الإصبع المصري) بعضَ أبوابِ المعاني كالإطنابِ ،والتَكرار،والإيجاز في هذا الفن. ينظر: البديع ، ص: ٣٥ ينظر: تحرير التحبير: ،ص: ٧٢. ينظر: مُعجَم المُصطلحات البلاغية،وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،٣/مادة(**طباق**) .

ينظر: البلاغةُ تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة، ط١٩٨٣،٦، ص:٣٥٩.

فهو لا يقلُّ أهميةً عن سابقِه وان كان موقُعُه في الطرف الآخر من المُحسّنات البديعية(*)، إذ عُدَّ الثاني فيها عِند ابنِ المُعتز في كتابِهِ (البديع)(٣).

إنَّ لكلٍّ منهما تعريفاتٍ عديدة إلا إنها حُدِّدَت فيما بَعد فاصبحَ المعنى الاصطلاحي للطباق هو الجَمع بينَ المُتضادَّين والمُتقابلَين في المَعنى(٤)، وهذان المُتضادان أو المُتقابلان قد يكونا اسمَين أو فِعلَين أو حَرفَين(٥)، ولم تَبتَعِد التعريفات الكثيرة لهذا الفن عن ذلك المَعنى وهي وان تَعدَّدت تبقى دالةً عليه وحاملةً لمَعناه وأقسامه .

والجناس أُلِّفَت فيه مُؤلَّفات عَديدة وقد شَرَّقَ المُؤلِّفون فيه وغَرَّبوا وقَسَّموه أقساماً كثيرةً (٦)ومع هذا كلِّه ظلَّ مَعناه يدور حولَ مُحورِيَّةٍ تُفضي إلى اعتبارهِ مَعانٍ مُشتَرَكة مُتغايرة قَد تشترك في لفظةٍ واحِدَةٍ أو ألفاظٍ مُتَجانِسة مُشتَقَّة (١).

ومعَ اختلافِ مُسمَّيات هذين الفَنَّين وكثرَةِ أقسامهما بَقِيا مَحل عِنايَة البَلاغيِّن والنُّقاد وَوَجَّهوا جلَّ عِنايتهم في البَحث عن أسرار القرآنِ الكَريم والوُقوف عند أجزائهِ (*)

وسيدور البحثُ حولَ هذين الفنين ومَعرفَةِ فاعليتهما في تَوجيه كلامِ الإمام (عليه السلام) واثرهما في بِناء النَص والكَشفِ عن دَلالاتِهِ .

(*) وأنا كان ابنُ الأثير قد ادخله في التجنيس اللفظي حينما تحدث عنه في الصناعة اللفظية ينظر: المثل السائر، في أدبِ الكاتبِ والشاعرِ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة، ١٣٥٨هـ ج٢٤٦/١ .

(3) ينظر: البديع ، ص: ٤٥. ينظر: مُعجَم المُصطلحات البلاغية،وتطورها، ج٢/ مادة (تجنيس)

(4) ويُسمَّى بالمُطابقة، والتَّطبيق، والتَّضاد، والمُقابلة عِند بعضِ البلاغيين، فقد عُرِفَ بالثلاثة الأولى، واوَّل من أطلق عليه اسمَ (المُقابلة) ابنُ الأثير. ينظر: مُعجم المُصطلحات البلاغية ،وتطورها،ج٣/ مادة (طِباق) . ينظر: المَثَلُ السائر ، ج٢٧٩/٢.

(5) ينظر: مُعجَم المُصطلحاتِ البلاغية ، وتطورها، ج٣/ مادة (الطباق) .

(6) ينظر: مُعجَم المُصطلحات البلاغية،وتطورها،ج٢/مادة(تجنيس)،ص٥١-١٠٧

(1) ينظر :المصدر السابق ،ج٢/مادة (تجنيس).

(*) وهناكَ مِن أصحابِ المدرسةِ الكلامية مَن نَحَّى فنَّ البَديع بأجناسهِ المُتَعَددة عَن مباحثِ أسرارِ البلاغة في الذِكرِ الحَكيم . ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، د.شوقي ضيف، ص: ٢٦٥

المَبحَث الأوَّل.

تَداخلَ فَنَّا الطباق والجِناس في مَساحاتٍ واسعَةٍ من كلامِ الإمام (عليه السلام) حتَّى باتَ منَ العسير أن يفُصَل بينهما بفاصلٍ ما ، وقد جاءا عَفوا بِما سَمَحَ بهِ الطَّبع مِن غَيرِ تكلف وفي مُفرداتٍ رشيقةٍ ،والألفاظ فيها خَدَمَ المَعاني ، ولم يكونا بمعزِلٍ عن الفنون البديعية اوالبيانية مَع شيءٍ مِن التَقديم هُنا أو التأخير هناك ممَّا جَعلَهُما مُتداخِلَين اشدَّ ما يكون التَداخل كَما في كلامهِ(عليه السلام) في مَن اخَذَ أموالَ المُسلمين بِغَير حَق :

- (وَاللهِ لَو وَجَدتُهُ قَد تُزُوِّجَ بِه النساءُ وَمُلِكَ بِهِ الإماءُ لَرَدَدتُهُ؛فانَّ في العَدلِ سَعَةً ومَن ضاقَ عَليهِ العَدلُ فَالجَور عَليهِ أضيَقُ)(١).

شَكَّلت المُفرداتُ(ضاقَ، أضيق، عدل،جور) مزيجا بديعيا تألف من (عدل وجور) وهو طباق ظاهر، والجناس(ضاق ،أضيَق)(٢) ، وكلاهما قامَ على ثِنائية تقابلية ضِدِّية نتَجَ عَنها تَباينٌ صَوتي مُنسَجِما مَع القَسَم الذي تَصَدَّر الكَلامَ ، والصيغة البنائية للقَسَم معَ ما تلاه من هذا التداخل البديعي تَحمل تَوكيداً ظاهِراً يُعَزِّزهُ وجود فِعل الشرط وجوابه، فنَتَج عَن ذلك توظيفٌ جميل يَحمل بَين طَيَّاته إصراراً على استرجاع المال ،والكلام على قِصَرِه يحملُ دلالةً واضحةً،تَجعل المُتلَقي مُدركا ما لِهذين الفَنَّين مِن اثرٍ في توجيهِ الكلام نَحو الإيجاز والتَوكيد والبَيان .

وهكذا في كلامٍ لهُ(عليه السلام) في مَصقلة لمَّا فَرَّ إلى معاوية(٣):

- (قَبَّحَ اللهُ مَصقَلَة فَعَلَ فِعل ألسادات وفَرَّ فِرارَ العَبيد،ما انطَقَ مادِحَهُ حتَّى أسكَتَهُ ،ولا صدَّقَ
-

واصِفَه حَتَّ بَكَّتَهُ،ولو أقام لاخَذنا مَيسُورَهُ وانتظَرنا بِمالهِ وُفورَهُ)(٤).

(1) نهج البلاغة،ج٤٢/١ .

(2) وسُمِّيَ هذا النوع بجناسِ التَغاير. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج / مادة (تجنيس).

(3) كانَ مصقلة قَد ابتاع سبي بني ناحية من عامل الإمام(ع) واعتقهم فلما طالبهُ بالمال خلس بهِ وهَرب إلى الشام فقال فيه الإمام ما قال ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الساقية للعلوم ،بيروت، ٢٠٠١م. ج٣ / ٥١.

(4) نهج البلاغة،ج٩٠/١-٩١.

كلامٌ موجَز حَملَ صورةً واضِحةً رَسَمت مصقلة بألوانِ البَيان المُطَرَّز بِفَنَّي الطباق والجِناس، وجاءت فِي مُنتَهى ألذم بِفِعل هذا التَناقض(انطَق، اسكَت،صَدَّق، بكَّت، ميسوره ،موفوره) ، والجِناس هو الجامع لهذين النَقيضَين(فَعَل فِعل)السادة و(فَرَّ فِرار)العَبيد وكلاهما رشَحَ فيه التَشبيه والتقدير هو: فَعَل كَفِعل وفَرَّ كَفِرار،ولِكُلٍّ منَ الفِعلَين ما يُماثِلَهُ،حَيث يُناسِب الأوَّل السادات والثاني للعبيد ،وهُما وَصفان اشترك فيهما معَ فنٍّ بياني – التَشبيه - لِرَسمِ صورةٍ فَنِيَّةٍ مُتَحركة تَنبُض بالحَياة حَتَّى يَكاد القارئ أن يَراها، فكانَ تَحريكها للنَفسِ أقوى وهذا ما ابتَغاه الإمام(عليه السلام) ، واصبَحَ النَصُّ عَلى قِصَرِه ذا قيمةٍ دلالية وبِمَعرضٍ حَسَن وهنا تَجلّت وظيفةُ الفَنَّين البَديعين فِي رَفدِ الصورةِ البَيانِيَّةِ فيه.

ولما بويع بالمدينة قال(عليه السلام):

- (ذِمَّتي بِما أقول رَهينةٌ، وأنا بِهِ زَعيمٌ، إنَّ مَن صَرَّحت لَهُ العِبَرُ عَمَّا بَينَ يَديهِ مِنَ المَثُلاتِ حَجَزَتهُ التَّقوى عَن تَقَحُّمِ الشُّبُهاتِ؛ألا وانَّ بَلِيَّتَكُم قَد عادَت كَهَيئَتِها يومَ بَعثَ اللهُ نَبِيَّكُم صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم والَّذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلبَلُنَّ بَلبَلَةً، وَلَتُغَربَلُنَّ غَربَلَةً ولَتُساطُنَّ سَوطَ القِدرِ حَتَّى يَعودُ اسفَلُكُم أعلاكُم واعلاكُم اسفَلَكم؛ ولَيَسبِقَنَّ سابقون كانوا قَصَّروا، ولَيُقَصِّرَنَّ سابِقون كانُوا سَبَقُوا،واللهِ ما كَتمتُ وَشمةً ولا كَذَبتُ كذبةً ولَقَد نُبِّئتُ بِهذا المقام وهذا اليوم ،ألا وانَّ الخَطايا شُمُسٌ حُمِلَ عَليها أهلُها وخُلِعَت لُجُمُها فَتَقَحَّمَت بِهِم فِي النارِ، ألا وانَّ التقوى مطايا ذُلُل حُمِلَ عَليها أهلُها وأُعطُوا أزِمَّتَها فأوردَتهُم الجَنَّةَ ،حقٌّ وباطلٌ ولكلٍّ أهلٌ ،فَلَئِن أمرَ الباطلُ لَقَديماً فَعَل ولَئِن قَلَّ الحَقُّ فَلَرُبَّما ولعَل ولَقَلَّما أدبرَ شيءٌ وأدبَر.....)[1] .

كشف التمازج البديعي بين الطباق(اسفل، أعلى)، والجناس[2] المنبثق من إعادة صياغة هاتين المفردتين وبتقابلية معكوسة(حتى يعود اسفلكم أعلاكم واعلاكم اسفلكم) عن مقدار تلك البلبل والغربلة التي حذرهم منها(عليه السلام) والمؤكدة بالتكرار اللفظي ،وبمقدار هذا التناقض الطباقي والانعكاس الجناسي يبدو مقدار انقلاب هؤلاء وانتقالهم من حال إلى حال آخر مناقض له،وقد عَزَّزَ ذلك بطباقاتٍ تقابليةٍ أخرى(خطايا،تقوى)،(نار،جنة)،(حق،باطل)، (سابقون،قصَّروا) وكلها ثنائيات تُظهِر ذلك التناقض بينَ الفريقين ،ومن الالتحام المُزدَوَج بينَ فَنَّي البَديع بَرزَت وظيفةٌ بيانيةٌ تَناسبَت مع مُقتَضى الحال والمَقام .

ومن أمثلة التمازج بينهما قوله(عليه السلام) وهو يصف أدعياء القضاء :

- (فَإن نَزَلَت بِهِ إحدى المُبهَمات هَيَّأ لَها حَشواً رَثّاً مِن رَأيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ؛ فَهوَ مِن لَبسِ الشُّبُهاتِ فِي مِثلِ نَسجِ العَنكبوت: لا يَدري أصابَ أم أخطَأ: فَإن أصابَ خافَ أن يَكون قَد أخطَأ ، وان أخطَأ رَجا أن يكون قَد أصاب ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهالات ، عاشٍ رَكَّابُ عَشَوات، لَم يَعَضَّ عَلى العِلمِ بِضِرسٍ قاطِعٍ ، يُذرِي الرِّواياتِ إذ راءَ الرِّيحِ الهَشِيمِ،لا ملئ واللهِ بإصدارِ ما وَرَد عليهِ ولاهو أهلٌ لما فُوِّض إليه لا يَحتَسِب العِلمَ في شيءٍ مّما أنكَرَه ولا يَرى أنَّ مِن وراءِ ما بَلَغ مَذهَباً لِغيرِه،وان أظلَمَ أمرٌ اكتَتَمَ بهِ لما يَعلَم مِن جَهلِ نفسِه، تَصرَخ مِن جَورِ قَضائِهِ الدِّماء، وتَعِجُّ منهُ المواريث، إلى اللهِ أشكو مِن مَعشَرٍ يَعيشون جُهَّالًا ويموتونَ ضُلَّالاً ليسَ فيهِم سِلعَةٌ أبوَرَ منَ الكتاب إذا تُلِيَ حقَّ تِلاوَتِه ولا سِلعَةٌ أنفَقَ بَيعاً ولا أغلى ثَمناً منَ الكِتاب إذا حُرِّفَ عَن مواضِعِه ولا عِندَهُم أنكَرُ منَ المَعروف ولا أعرف منَ المُنكَر)[1] .

لَم يَقتَصر التَداخل هنا بَين الفَنَين مَحل البَحث فقط ، وانَما اشتَركا مَع فَنٍّ بيانيٍّ تمثل بالاستعارةِ التي بَيَّنَت كَذب ادِّعاء هؤلاء في أوضَح صورةٍ ، (أصابَ ، اخطَأ) والتقليب بَينهما لِيَلِدَ منهُما الطباق لِتَصلَ بنا إلى تَجسيمٍ لِما هو مَعنوي ويَظهر في لَبوسٍ مادِّي مَلموس ، فقد صُوِّر العِلمُ بهَيأةٍ مَلحوظَة عبرَ الاستعارة المَكنية(لم يعض على العلم)، التي حُذِفَ منها المُستعار منه ودَلَّت عليهِ إحدى خَصائصه .

إنَّ الطباق اتَّصل باستعارةٍ أخرى جاءت بصيغةِ المبالغة (خبَّاط جَهالات ، رَكَّاب عَشَوات) ، فالجَهالةُ لا تُخبَط والعَشوات لا تُركَب لكنَّها الاستعارةُ التي جَسَّمت[2] المعَنويات وفي ظلِّ ثنائيَّةٍ مُترادفة وفي رَصفٍ ذي وَقعٍ شَديد فَتعاضَد الفنان في رفدِ الصورةِ البيانية

---

[1] المصدر السابق،ج١/٤٢-٤٤.

[2] سَمَّاه العلوي الجناس المَعكوس، وعُرِفَ عند الحموي بالمقلوب، ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج٢/٧٣-٧٤.

[1] نهج البلاغة،ج١/٤٨-٥٠.

[2] التجسيمُ هو صياغة المُجرَّداتِ في صور مجسمةٍ حسيةٍ، فنرى فيها المعنويات،حتى نكاد نلمسها،ونراها، وتخرج بنا من المجال العقلي إلى المجال الحسي ينظر : فن الاستعارة، د. احمد عبد الصاوي الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٧٩م، ص:٢٧٥ : التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف ، مصر ،١٩٦٣م ،ص:٥٧ . : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر،(د. ت)، ص:٢٣٦

الاستعارية فأضحى المُتلقي يَطِلُّ على فضاءاتٍ جديدةٍ يَصلُ من خلالها إلى رُؤيةٍ بَصَريَّةٍ لمكوناتٍ مَعنويةٍ من العَسير تَصورها لولاها ،لاسيَّما في الاستعارةِ التي جَسَّدت الدماء وجَعلَتها تَصرخ من جَور أولئكَ الجُهَّال في القَضاء ، والاستعارة الأخرى الَّتي جَسَّدت المَواريث وجَعلَتها تَعجُّ إلى الله بأعلى صوتها لِمَا لَحِقَها من ظُلم مَن لا يُحسِن القَضاء فتَناسَب مع صيغةِ المُبالَغة الأخرى(جُهَّالًا، ضُلَّالا) ، ولهذهِ الصيغة الاسمية دلالةٌ مَقصودة وهي ثَبات الصفة،وينتَهي النَصُّ بطباقٍ مَعكوس (أنكَر من المَعروف ولا أعرَف منَ المُنكَر).

ومِنَ الجِناس المَعكوس المُتداخِل مَعَ الطباق قولُهُ(عليه السلام)في التَحذير من طُولِ الأمل واتِّباعِ الهَوى:

- (ألا وانَّ الدنيا قَد ولَّت حَذَّاء فلم يبقَ منها إلاَّ صبابة كَصبابة الإناء اصطَبَّها صابُّها، ألا وانَّ الآخرةَ قد أقبلت ولكلٍّ منها بَنون...فكونوا من أبناءِ الآخرةِ ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فانَّ كلَّ وَلَدٍ سيلحق بأمِّهِ يومَ القيامة وانَّ اليَومَ عمَلَ ولا حِساب، وغَداً حِسابَ ولا عَمَل)[٣].

إنَّ الافتتاح بالأداة (ألا)يُفيد التَنبيه وهو ما يَتلاءم معَ النُصح والإرشاد والتَّحذير مَعاً ، واردَفَها بسَيلٍ منَ المُفرَدات ألطٍّباقية (دُنيا ،آخرة ،ولَّت ،أدبَرَت ،كُونوا ،لا تَكونوا ،اليوم ،غدًا ،عَمَل ،لا عَمَل ،حِساب ،لا حِساب)، والأخيرةُ منها تَشكَّلت من صيغَتَي الأمر والنَّهي لتُعطي ما يُعرَف بطباقِ السَّلب، ويَتَولَّد منها جِناسٌ مَعكوس في الوقتِ عَينِه ،وهذه الطباقات الواردة في اسلوبَي الأمرِ والنَّهي تُعَزِّز التَّنبيهَ بالأداة(ألا) لما فيها من تَجديدٍ لِنشاطِ السامعين، واكثر تَجانسا معَ المَعنى العام للنص حينَ تُحذر من قُربِ ذهاب الحَياة الدُّنيا ودُنو حلول الوفاة وكأنَّهُما قابَ قوسين أو أدنى، ولعَلَّ الفارقَ الزمني بينَ الأمسِ واليوم هُو الَّذي جَعلَ لكلٍّ منهما مَعنىً مُعاكسا للآخر ممَّا استوجَبَ هذا الجِناس المَعكوس من هنا حَثَّ(عليه السلام)سامعيه ومَن يأتي بَعدَهم أن يَكونوا من أبناءِ الآخرة .

المَبحثُ الثاني.

ويَنبلجُ كلامُه (عليه السلام) - في مساحة أوسع- عَن تجاورِ ألفَنَّين البَديعيَّن ليُؤدِّيا وظيفةً كانت وراءَ استحضارِهما بهذهِ الهَيأة دونَ سواها في بناءِ النَّص أو في توجيهِ مَعانيه، إذ يَتَجاوران

في فضاءاتِ النص النَّهجي الواسعة،وقَد يَتقدَّم أحدهُما على الآخر في رَصفٍ بديعٍ وألفاظٍ سَلسة كقولِه(عليه السلام) مُخاطِبا الخَوارج في مَعسكرِهم وهُم مُقيمون على إنكارِ حكومته:

- (ألَم تَقولوا عِندَ رَفعِهم المَصاحِفَ حِيلةً وغِيلةً ومَكراً وخَديعَةً ،فَقلت لَكم: هذا أمرٌ ظاهِرُهُ إيمان وباطنُهُ عُدوان،وأوَّلُهُ رَحمَةٌ وآخره نَدامة،فأقيموا عَلى شَأنِكم والزِموا طَريقَكم،وعَضُّوا عَلى الجِهاد بِنَواجِذِكم،ولا تَلتَفِتوا إلى ناعقٍ نَعَق إن أُجيبَ أضَل وإن تُرِكَ ذَل)(١)

قامَ الكلامُ على هَندسَةٍ طِباقيَّةٍ أخَّاذة مُتَّشِحاً بفنونٍ بَلاغيَّةٍ التَفَّت على بعضِها لِتَخرج إلى استفهامٍ إنكاري تقريري،وكأنَّه(عليه السلام)يُنكر عَليهم عَمَلهم هذا أو يُريد إقرارهم بِما فَعلوا بأنفسِهم تارةً أخرى وبِجوار جِناسٍ ناقص (حِيلةً، غِيلَةً)، أكَّدَ ذلك كُلَّه بالمُفرَدَتَين(مَكرا وخَديعة)واتبَعَه بتجاورٍ جَديد بينَ الطباق والجناس والمُتَمَثل بالمُفرداتِ:(ظاهره إيمان ،باطنه عدوان)، (ناعِق نَعَق)، لِتَصُب كلُّها في توظيف للكَشف والبَيان تَجلَّى في رَفدِ الصورةِ الاستعاريةً حينَ أبرَزَت خَبيات المَعاني ورفَعت الأستارَ عن الحَقائق المَعنوية حَتَى نرى المُتَخَيل في صورةِ المُتَحقق والمُتَوَهم في مَعرضِ المُتَيقن : (وعَضوا عَلى الجِهاد بِنَواجِذكم) ،وفيها تَجسَّم الجِهادُ فاكتَسبَ النصُّ قُوَّةً دلاليةً ،وَولَّدت استعارةً تصريحية سَبقَتها(ناعقٌ نَعَق) من رَحمِ الجِناس المُتغايِر أضفَت زَخماً دَلاليا آخر يُدرِكُهُ المُتَلَقي دونَ عَناء .

وتقدم جناس آخر على طباقات متجاورة في كلام له (عليه السلام) لما عوتب على التسوية في العطاء بين المسلمين على خلاف ما اعتادوه من قبل :

- (أتَأمرُونِّي أن اطلُب النَّصرَ بالجَورِ فيمَن وُلِّيتُ عَلَيهِ ؟واللهِ لا أطورُ بِهِ ما سَمَرَ سَمير وما أمَّ نَجمٌ في السَّماءِ نَجماً لو كانَ المالُ لي لَسوَّيتُ بَينهُم فَكيفَ وانَّما المالُ مالُ الله، ألا وانَّ إعطاءَ المالَ في غَيرِ حَقِّه تَبذيرٌ وإسرافٌ وهو يَرفَعُ صاحِبَه في الدنيا ويَضَعُه في الآخرةِ، ويُكرِمُهُ في النَّاسِ ويُهينُهُ عندَ الله، ولَم يَضع امرؤٌ ماله فِي غَيرِ حَقِّهِ ولا عِندَ غيرِ أهلِه إلاّ حَرَمَهُ اللهُ شكرَهُم وكانَ لِغيرِهِ وُدُّهُم ، فَإن زَلَّت بِهِ النَّعلُ يَوماً فأحتاجَ إلى مَعونَتِهم فَشَرُّ خَدينٍ وألأمُ خَليلٍ)(٢).

لَقَد أدَّى التَّجاورُ البديعي للفَنَّين وَظيفةَ الكشفِ والبَيان ،انَّه(عليه السلام) لا يَطلب ذلكَ النَّصر المَشوب بالباطلِ وثابت على رأيهِ هذا بِثباتِ هذين الأمرين اللذين بَينهما بالطباقِ: (سَمَّر سَمير)،(أمَّ نَجمٌ نَجماً)، واتَت كُلُّها في صِيَغٍ إنشائيةٍ مُترابِطة ويَأخذ بَعضُها بِتلابيبِ بَعض .

---

(1) نهج البلاغة،ج٢ / ٢.

(2) المصدر السابق،ج ٢/ ١٠.

(3). نهج البلاغة،ج١/ ٨٨-٨٩ .

وَمِن ذلك أيضاً قولُهُ (عليه السلام) في حَمدِ اللهِ ومعرفَتِه:

- (نَحمدهُ عَلى ما أعطَى وعَلى ما أبلى وابتَلى، الباطِنِ لكلِّ خَفيةٍ والحَاضِرِ لِكلِّ سَريرة، العالِمِ بِما تَكنّ الصُّدور، وما تَخون العيون، ونَشهد أن لا الَهَ غيره وانَّ مُحَمَّداً نَجيبُهُ وبَعيثُه شهادةً يُوافِقُ فيها السرُّ والإعلانُ والقَلبُ واللسان)(١).

قَامَ النصُّ في كلامٍ طويل له (عليه السلام) على هذهِ المقدمة الجامعة المانعة لبَيانِ صفاتِ اللهِ التي أوردَها لتُناسِب مَقام الوَعظ والتَّحذير مِن علم الله بِخفيات الأمور وفي بنيَةٍ بَديعية كانَ طَرفاها الطباقُ(أخَذَ ،أعطى)في بِدايَتِهِ و(السرّ ،الإعلان)في نَهايتِه، وتَوسَّطهُما الطباق والمُتَمثل بالمُفردات(أبلى،ابتَلى) وهو في الوقت عينه جِناسُ ناقصٌ وبِذا يَكون النَصُّ قائِماً على هذه المُقابلة الكاشِفة عَن دلالة النَص منذُ الوهلةِ الأولى، مِن هنا يدُرك المُتلَقي أثرَ الفَنَّين مَعاً في تَوجيهِ دَلالة النَّص.

لا يُوجد فَاصلٌ بينَ المُفردات التي كانَ الطباقُ جِزءاً مِنها لانَّ الفاعلَ واحدٌ وهو الله جلَّ وعلا وهذا ما أراد الإمامُ بيانه، لكن لمَّا وصَلَ الأمرُ إلى الصفةِ باسمِ الفاعل عَهدَ الإمامُ إلى بَيانِ هذه الصفاتِ بِما يَدلُّ عليها.

واجتَمَعا في مُجاورةٍ فاعِلَةٍ في كلامِهِ (عليه السلام)حينَ عَلَّلَ انتصارَ الإسلام:

- (إنَّ هذا الأمر لَم يَكُن نَصرُهُ ولا خِذلانه بِكثرَةٍ ولا بِقِلَّة، وهو دينُ اللهِ الذي أظهَره وجُندُه الذي أعَدَّهُ وأمَدَّه حَتَّى بَلَغ ما بَلَغ وطَلَع حيث طَلَع ونَحنُ على مَوعودٍ في الله، واللهُ مُنجِزٌ وعدَه وناصِرٌ جِندَه، ومَكانُ القَيِّم بالأمر مَكانُ النِّظامِ مِن الخَرَز:يَجمعُهُ ويَضُمُّهُ، فأذا انقَطَعَ النظامُ تَفَرَّقَ الخَرزُ وذَهَبَ ثُمَّ لَم يَجتمِع بحذافيرِهِ أبَداً، والعربُ اليومَ وان كانوا قَليلًا فَهُم كَثيرون بالإسلام، عَزيزونَ بالاجتِماع ...)(٢).

ترادف المُفردات الطباقية(نَصرهُ، خُذلانَه)،(كثرة،قِلَّة) يَدلُّ على التَوكيد بأنَّ هذا الأمرَ لم يَتَوقَّف عَلى مُعادَلات أرضيةٍ مَعهودة مِن كثرة أو قِلَّة، بل هي دينُ اللهِ الذي أظهَرَه بِجندٍ أعَدَّه وامَدَّه ، هو إذن طباق مُوظَّف قادَ إلى جناسٍ شارَكَهُ في المَبنى والمَعنى، فكلاهما جاءَ للتوكيد وعَزَّز بتوكيدٍ لفظي آخَر (بَلَغَ ما بَلَغ)،(طَلَع حيثُ طَلَع)،ثُمَّ أتبَعَ ذلك كله بالتَوكيد بأن (إنَّ)؛ (إنَّ اللهَ مُنجِزٌ وعدَه،وناصِرٌ جندَه)، لقد أُحيطَ النَص بتوكيدين فكانَ الجناسُ والطباقُ جِزءً مِنها وتناغَما مَعَه في سِياقٍ لفظي ودلالةٍ مَعنويةٍ .

وفي كلامِهِ(عليه السلام) كان يُوصي بهِ أصحابَهُ ويُذكرهُم بالعِلم الإلهي الذي لا يَخفى عَليه شيء:

- (إنَّ اللهَ لا يَخفى عليهِ ما العِباد مُقتَرِفون في لَيلِهِم ونهارِهِم، لَطُفَ بهِ خُبراً وأحاطَ بهِ علماً، أعضاؤُكُم شُهودُهُ وجوارِحُكُم جُنودُه، وضَمائِرُكُم عُيونُهُ وخَلواتُكُم عِيانُه)(١).

جاورَ الطباقَ(ليل ، نهار)جناسان ؛(شهوده، جنوده)،(عيونه، عيانه)، وكلاهُما جناسٌ ناقص ورُصِفَت مفرداتُهُ الأربع في جُملٍ اسمية أخَذَت فيها مواقعَ الخبر للدلالةِ على الثبوت وعُطِفَت على بعضِها في سِجَعٍ واحدٍ أضفى روعةً ومهابةً تَدلُّ على الرفعةِ والتَّعظيم وهو ممَّا يُناسب موضوعَ النص ،حيث جاءَ هذا المقطعُ ليَختَتم به كلاماً كان يُوصي بهِ أصحابَه فأورَدَ هذا التَجاور ألبديعي ليكون حِسنَ الختام وقد جاءت متناسبةً معَ ما وردَ قبلَها :(...ثُمَّ أداءَ الأمانة ؛ فقَد خابَ مَن ليسَ مِن أهلها، إنَّها عُرِضَت على السموات المَبنيَّة، والارضين المَدحُوَّة، والجَبالِ ذات الطُّولِ المَنصوبَةِ فلا أطولَ ولا أعرضَ ولا أعلى ولا أعظمَ مِنها، ولو امتَنعَ شيءٌ بِطولٍ أوعَرضٍ أو قُوَّةٍ أو عِزٍّ لامتَنَعنَ، ولكن أشفَقنَ مِنَ العُقُوبةِ، وعَقَلنَ ما جَهِلَ مَن هُوَ أضعَفُ مِنهُنَّ وهُوَ الإنسان " انه كان ظلوما ")(٢)، فيكون (عليه السلام) قدم بفن بديعي آخر هو الاقتباس والتتضمين لنص قرآني(٣)

ولَرُبَما جاورَ الطباقَ كثيرٌ مِنَ الجناسات كَما في كلامهِ (عليه السلام)في الحَثِّ على طَلَب الآخرة: (أيُّها الناس إنَّما الدنيا دارُ مَجازٍ والآخرةُ دارُ قَرارٍ، فَخذوا مِن مَمَرِّكم لِمَقَرِّكم ولا تَهتكوا أستارَكم عندَ مَن يَعلم أسرارَكم وأخرِجوا مِن الدنيا قلوبَكُم مِن قبلِ أن تَخرُجَ مِنها أبدانَكم فَفيها أختُبِرتُم ولِغَيرِها خُلِقتُم إنَّ المرءَ إذا هَلَك قالَ الناسُ :ما تَرَك ؟ وقالت الملائِكةُ : ما قَدَّم؟ لله آباؤُكم فَقَدِّموا بَعضاً يَكُن لَكُم قَرضاً ولا تُخلِفوا كُلاً فَيكونَ قَرضاً عليكُم ..) (٤) .

اتَّحدَ الفنان في مُقدمةِ النص(الدنيا، الآخرة)،(مَمرَّكم،مقركم) وفي جُملٍ خبريةٍ فيها فائدة الخبر ، فالدنيا مَمر، والآخرةُ مَقر، لذا جاء الجناسُ الناقص(أستاركم،أسراركم) بصيغتهِ الإنشائية بهيأةِ أمرٍ خرجَ للنُصح والإرشاد

---

(1) نهج البلاغة،ج٢/ ٢٠.
(2) نهج البلاغة،ج٢/٣٩-٤٠.

---

(1) نهج البلاغة،ج٢/ ٢٠٦.
(2) المصدر السابق، ج٢/٢٠٥-٢٠٦.
(3) من قوله نعالى: " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب:٧٢)
(4) نهج البلاغة،ج٢/ ٢٠٩.

والتـذكير(لا تهتكـوا أسـتاركم عنـدَ مَـن يعلـم أسراركم) واستمرار التَماثل الصوتي يُبقى الأثر الـذي أراد الإمـام تَركـه فـي نَفـس السامع(أستاركم،أسراركم، قلوبكم، أبدانكم)وهو ما يُظهِر أنَّ هذين الفنين كانا مِن لُحمةِ النص وسَداه،وبالصيغةِ الوَعظيـة ذاتهـا وَرَد جنـاسٌ آخر(قرضا،فرضا) وهو جناس تصحيف[٥] وقد انبَثقَ مِن الأمرِ المَجازي الذي خَرجَ بهِ إلى الغايةِ السابقةِ ذاتها وبصحبةِ طباقٍ آخر ، فيُدرِك المُتلقي ما لِهذَين الفَنين مِن اثرٍ في تَوجيه دلالةِ النص بأكملـه حـينَ نلمَس الفـارقَ والبُعدَ الكبيـر بَـينَ الدنيا(المَمر)والآخرة(المَقر) والتَّحذير مِن هَتكِ الأستار عِندَ عالمِ الأسرار، والتَّذكير إن ما كان قَرضاً قد يكون فَرضاً في صورةٍ بصريَّةٍ جَليةٍ.

وتَقـدَّم الجناسُ(مَلكةً،هَلكـةً) عَلـى الطِّبـاق (طالِب،هـارِب) فـي خِضَمِّ جِناسـاتٍ مُتواليَـةٍ تَكـاد تَقترب من المَثابات البديعية لهذَين الفَنَّين ، لِتَلتَحم كُلُّهـا فـي بِنـاءِ صَـوتي فـي كـلامِ لـــهُ (عليـه السلام)عِندَ بَيانِ فضلِ التقوى:

- (فأنَّ تَقوى اللهِ مِفتاحُ سَداد وذَخيرةُ مَعاد، وعِتقٌ مِن كُلِّ مَلَكةٍ ونَجاةٌ مِن كُلِّ هَلَكة ،بِها يَنجَح الطالِبُ ويَنجـو الهـارِبُ وتُنـال ألرَّغائِبُ فَاعمَلوا والعَمـلُ يُرفَع والتَوبـةُ تَنفَع والدُّعاءُ يُسمَع والحالُ هادئـةٌ والأقلامُ جاريَـةٌ وبـادِروا بالأعمـالِ عُمراً ناكساً أو مَرَضـاً حابِساً أو مَوتـاً خالِسـاً فـأنَّ المـوتَ هـادِمُ لذَّاتِكُم، ومُكَدِّر شَهواتِكُم،ومُباعِدُ طَيَّاتِكُم، زائِرٌ غَيُر مَحبُوب،وقِرنَ غيُر مَغلوب، وَواتِرٌ غَيُر مَطلوب، قَـد أعلَقَتكُم حَبائِلُـهُ، وتَكَنَّفَتكُم غَوائِلُهُ،وأقصَدَتكُم مَعابِلُـهُ، وعَظُمَـت فِيكُم سَطوَتُهُ، وتَتَابَعَت عَليكُم عَدوَتُـهُ، فَيوشِكُ أن تَغشاكُم دَواجِي ظُلَلِه،واحتدامُ عِلَلِه، وحَنادِسُ غَمراتِه، وغَواشِي سَكَراتِه، وأليمُ إزهاقِه، ودُجُوُّ أطباقِه، وجُشُوبَةِ مَذاقِه)[١].

يأخُذ النصُّ يتلابيب المُتلقي لِما يَزخَر بِهِ مِن روائـع المعـاني وجَمـال المَبـاني التـي صِيغَت فـي نَسَقٍ صوتي أخّـاذ ، إذ يتـوالى التـذكيرُ المُصَـوَّر أحسَـنَ تصـوير فتكتمـل صُـوَرُهُ فـي صـورةٍ كليـة مُرَكَّبـة، فـالتَقوى مِفتـاحٌ بهـا ينـجَح الطالِبُ وينجو الهـارِبُ وبهـا تُنـال الرَّغائِبُ معَ التذكير أنَّ العملَ يُرفَع مِثلما تَنفعُ التوبة ويُسمع الدعاءُ، وإذا كانت الحالُ هادئةً فأنَّ الأقلامَ جاريةٌ والتحذير مِن العمر المُتناقِص أو المَرضِ الحابِس المانع أو المَوتِ

الخـالِس، وهـي صُـورٌ اسـتعاريةٌ جَسَّمت مـا هُـو مَعنوي وجَعَلتهُ في مَعرَضٍ ماديٍّ مَلموس وهو مِمّا يُناسِب الوَعظ والتَّذكير والتَّحذير، وبِفضلِ ذلك كُلِّـه اسـتطاعَ التَجـاورُ البـديعي رَفـدَ الصُـور الاستعارية،واتَّسَق في البناءِ الصَوتي للنَص، إنَّها ليست ومضَة دلالية بِقدرِ ما هيَ خَلقٌ وإبداع .

وتَـوزَّعَ الطبـاقُ والجنـاسُ فـي مُجـاوَرةٍ بليغـةٍ اشـتَرَكا فيهـا بِصَـحبَة فنـونٍ بديعيَّـةٍ وصـفيةٍ فـي قولِه(عليـه السـلام) عِنـد بَيـانِ أسـبابِ الفشـل والهَزيمة:

- (ألا إنَّ اللسـانَ بِضعَةٌ مـنَ الإنسـان، فَـلا يُسـعِدُهُ القَولُ إذا امتَنَع، وَلا يُمهِلُهُ النُّطقُ إذا اتَّسعَ، وإنَّـا لأمُـراءُ الكَـلام، وَفِينَـا تَنَشَّـبَت عُرُوقُـهُ ، وعَلَينـا تَهَـدَّلَت غُصُـونُهُ، واعلَمـوا يَـرحمكُمُ اللهُ إنَّكـم فِـي زمانٍ القائلُ فيهِ بالحَق قَليل واللِّسان عَن الصدقِ كَليـلٌ والـلازم للحَـق ذَليـلٌ أهلـهُ مُعتَكِفـون عَلـى العِصيان مُصطَلحونَ على الإدمـان، فَتـاهُم عـارِم وشـائبُهُم آثـم وعـالمُهُم مُنـافِق وقـارئهُم مُمـاذِق لا يُعظِّـم صـغيرُهُم كبيـرَهم ولا يَعـول غَنـيُّهم فقيرَهم)[٢].

لمّا كانت البلاغةُ كثيراً في قليل أو هي إجاعة اللفظ وإشباع المَعنى فأنَّ كلامَ الإمام مثَّل مِصداقاً لـذلك ، فالجُملـة تَتَكَشَّـف عـن جملـةٍ غائبـةٍ فـي إشـاراتٍ لا تَخفـى علـى السـامع، انَّ هـذا الزمـان الـذي وصـفه الإمـامُ القائـل فيـهِ بـالحق قليـل يُشـير ضِمناً إلى أنَّ الكثيرَ هُم نقيضُ ذلك، أي (والقائلُ بالباطـلِ كَثيـر) مـع الإشـارةِ إلـى أنَّ الجِنـاس (قليل،كليل) يُوحِيان بهذا الغائب المُقَدَّر وهذا ما يُوصـل إلـى الجُملـة الثالثـة التـي تَجعـل مِـن المُفردة(ذليل) تابِعاً جِناسيّا لهاتَين المُفردَتَين مع إدراك وجود نقيض لذلك، أي أنَّ اللازم للباطل هو العزيز، فَمِن اللازم والحال كذلك أن يكون أهل هذا الزمان مُعتَكِفين على العِصيان ومُصطَلِحون على الإدمان، ثم يَمضي(عليه السلام) قُدُماً في وصفِ أهلِـه ؛الفتـى عـارٌم لا يمسكه شيء وكأنَّـهُ مَـوج مُندَفِع وهذا ما يُدرَك من الوَصف (عارم)، والكبير منهم آثم والعالِم مُنافق حتّى يصل بالمتلَقي إلى مُفارَقَـةٍ تنبـع مـن صميم الطباق بينَ(صـغيرهم، كبيرهم)،(غنيهم،فقيـرهم) فـي صـورةٍ جمعـت المتناقضات لِتُظهِر لنا صورة بَشِعة لهؤلاء وتُعلِّل لنا سبب الفَشل والهَزيمة، فَنُدرك أنَّ هذين الفنين وما لَحقَ بِهما من فنون بَلاغية أخرى جاءت في مَعرض التَعليل والكَشف والإيضاح بعد ابتدأ النصُّ بالجِناس(لِسـان، إنسـان) المُتَّشـح بِسَـجَعٍ جَميل(امتنع، اتسع،عروقه،غصونه)

وفي كلامهِ (عليه السلام)وهو يعض أصحابه:

---

[5] وهو أن تكون النقطُ فرقاً بين الكلمتين، وسُمِّيَ عند الزملكاني والعلوي بتَجنيس الخَط. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج٢/ مادة تجنيس.

[1] نهج البلاغة،ج٢/ ٢٥٠.

[2] نهج البلاغة،ج٢/٢٥٤ .

- (...فعَليكُم بالجِدِّ والاجتِهاد والتَّأهب والاستِعداد والتَّزود مِن منزِلِ الزاد ولا تَغرنَّكم الحَياةُ الدنيا كَما غرَّت مَن كان قبلَكُم مِن الأمَم الماضية والقرونِ الخالية الذين احتَلَبوا دِرَّتَها وأصابوا غِرَّتَها وافنَوا عِدتها واخَلقُوا جِدتَها واصبَحت مَساكنَهُم أجداثاً واموالهم مِيراثا، لا يَعرفون مَن أتاهُم ولا يَحفِلون مَن بَكاهُم ولا يُجيبون مَن دَعاهم ، فأحذَروا الدُنيا فأنَّها غدارة غَرَّارة خَدوع ،مُعطِية مَنوع،مُلبِسَة نَزوع لا يَدومُ رَخاؤُها ولا يَنقَضي عَناؤُها ولا يَركَد بَلاؤُها)[1] .

جاء جناسُ التداخل [*] (جِد ، اجتهاد) وألجناسُ الناقص (درَّتها ،غرَّتها) فُصِلا عَن الطباق (رخاؤها،عناؤها)، (عدَّتها،جدَّتها)، (غدَّارة،غرَّارة)، (خَدوع،مَنوع) بِما يَقترب من هذين الفَنَّين في مساحةِ النص النهجي لِيَتبلوَر مِنهُما عطاءٌ دلاليٌّ يَصِل إلى ذروتهِ في مثل هذا الاستعداد وفي سِلسِلةٍ مِن الاستحضار البَديعي المُتجاور والمُتداخِل مع فنونٍ بلاغية عديدة فَيكتنز النصُّ بالإيماءات والإشارات .

نتائج البحث.

وخلص الباحثُ إلى نتائجَ استقرأها مَّما جاءَ في النصوص المُختارة حيَن تَتَبَّع فَنَّي الطباق والجناس في كلام الإمام (عليه السلام) وهي :

* إنَّ كلامَ الإمام (عليه السلام) ضمَّ بينَ سطورهِ هذين الفنَّين البَديعيَّين ولم يكونا صِبغةً بقدر ما كانا جزء مِن لُحمةِ النص في مَبناه ومَعناه و صَدَرا عَن ارتجاليةٍ باذِخَةٍ في عظمتِها.

* انَّهما فَنان ظاهِران بارِزان مُهَيمِنان في كلامه(عليه السلام) واحتلا مساحةً واسعة،وتَمثَّل ظهورهما بالتداخل في ما بينهما تارةً وبالتجاورِ تارةً أخرى وان كانالنوع الثاني اكثر حضورا من سابقهِ.

* إنَّ لهما فاعليةً و اثرأً في توجيهِ المَعاني وبِناءِ الألفاظ واشتراكهُما في التَّوظيف الدَلالي في

كلامهِ (عليه السلام) واثر ذلك كُلِّه في المُتَلقي ولاسيَّما في بناءِ الصورةِ البيانية؛التشبيهية والاستعارية علىَ حدٍ سواء وفي ظلِّ ثنائيَّةٍ مُترادفة وفي رَصفٍ ذي وَقعٍ شَديد فَيتعاضَد الفنان في رفدِ تلكَ الصُور ليَطِلَّ المتلقي على فضاءاتٍ جديدةٍ يَصلُ مِن خلالها إلى رُؤيةٍ بَصَريَّةٍ لمكونات مَعنوية مِن العَسير تَصورها لولاها ،لأنها جَسَّمت ما هُو مَعنوي وجَعَلتهُ في مَعرَضٍ ماديٍّ مَلموس .

* لقد أدَّت مِن خلالِ تواجده في كلام الإمام وظائفَ عديدة كالتَعليل والكَشف والإيضاح، أو النصح والتذكير والإرشاد لِيكتَنز النصُّ بالإيماءاتِ والإشاراتِ فلِيَتبلوَر مِنهُما عطاءٌ دلالي يَصِل إلى ذروتهِ في ظلِهما

*لم يكونا بِمعزِلٍ عن الفنون البديعية الأخرى مَع شيءٍ مِن التَقديم التأخير مِمَّا جَعلَهُما مُتداخِلَين اشدّ ما يكون التَداخل حتى بات من العسير فصلها عن بعضما أو سائر تلك الفنون.

* تَجاورَت طباقاتٌ وجناسات كَثيرةٌ في مَقطَعٍ واحدٍ ، أو مَقاطِع مُتَجاورة في نَصٍّ واحدٍ فشَكَّلاَ في كَثيرٍ مِنَ الأحيان محورَ الكَلام ، وبُؤرَتهِ الرَّئيسة، ولَو رُفِعا مِن الكَلام اختَلَّ وَقَصُرَت مَعانيه .

*يَردُ الطِّباقُ – أحيانا – بِصورٍ غَير مُباشرة حيث تَرِد مُفرَدتَان تَحمل إحداهُما مَعنىً مُرادِفاً مُقابِلاً للمَعنى الآخر ،وفي أحايين أخرى يَنبَثق الجناس من رحم المفردات الطباقية .

* قَد يُفصَل بَين مُفرَدتي الطِّباق من جهة والجناس من جهة أخرى بِفَواصل عَديدة،وقد يَكون الفاصِلُ طَويلًا بينَهُما في كَثيرٍ مِنَ الأحيان مع الحفاظ علىالتلاحُم الكبير بينهما .

* تَتَشابَك مُفرداتُ ألطِ باقات المُتَجاورة فيما بَينَها لِتوصِل إلى مَعان وصور مقصودة .

*انتَظَمَت كَثيرٌ من ألطِ باقات في جُمَلٍ اسميَّةٍ في الغالب ، غَير أنَّ هذا لا يَعني غِياب الجُملة الفِعلية الَّذي تَركَ آثاراً واضِحَةً ، وان كانَت بِصورَةٍ أقَل

مصادر البحث.

- القرآن الكريم .

- الإيضاح في علوم البلاغة،جلال الدين القزويني ت(٧٣٩)هـ،تحقيق لجنة بإشراف الشيخ

[1] نهج البلاغة،ج٢/٢٥٠-٢٥٢ .

[*] وسُمِّيَ تجنيس الترجيع والتذييل والناقص ، وهو الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى . ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج٢/ مادة تجنيس .

محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، (د. ت).
- البديع،ابن المعتز ، طبعة كراتشكوفسكي ، لندن ،١٩٣٥م .
- البلاغةُ تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف، دار المعارف ،القاهرة، ط٦، ١٩٨٣.
- تحرير التحبير في صناعةِ الشعرِ والنثرِ،ابن أبي الإصبع المصري ت(٦٥١هـ) تحقيق د. حفني محمد شرف،القاهرة ،١٣٨٣هـ .
- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف ، مصر ،١٩٦٣م.
- فن الاستعارة، د. احمد عبد الصاوي الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٧٩م.
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبى الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الساقية للعلوم ،بيروت
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت(٧١١)هـ ، دار صادر لبنان ،(د.ت).
- المَثَلُ السائرُ في أدبِ الكاتبِ والشاعرِ،ابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، ١٣٥٨هـ .
- مُعجم المُصطلحات البلاغية ،وتطورها، د. احمد مطلوب،مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،١٩٨٣م.
- النهاية في غريب الحديث،ابن الأثير ت(٦٠٦)هـ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي،ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان،ط٤، قم،١٣٦٤هـ.
- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبدة،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة ، مصر، (د.ت).

Related Articles
http://thiqaruni.org/arab6/75.pdf
http://thiqaruni.org/arab6/16.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/29.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/30.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/67.pdf